الصراع المتمثّل في القضية الفلسطينية، كقضية تحرر وطني.

أمّا عن موقف الحزب من مبدأ حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وقضية اللاجئين، فقد كرّس الباحث الفصلين، الرابع والخامس، لهذه النقطة تحديداً، وتمكّن، من خلال استعراض تطوّر موقف الحزب من هذه المسألة تحديد ثلاث مراحل:

- المرحلة الواقعة ما بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥٦. في هذه المرحلة فسّر الحزب حق تقرير المصير بأنه تقرير المصير للشعب العربي، بما يعنيه حق اقامة دولته العربية المستقلة في «الجزء ا لعربي من أرض ـ اسرائيل» بجانب دولة اسرائيل.

- مرحلة ١٩٥٧ ـ ١٩٧٣؛ حيث حصر الحزب، في هذه المرحلة، حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، في «حق اللاجئين في العودة الى اسرائيل».

- مرحلة ١٩٧٤ الى الآن. وفسّر الحزب، خلالها، حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بأنه يعني حقهم في اقامة دولتهم الفلسطينية المستقلة في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧. «وفي هذه المرحلة، غيّر الحزب، جذرياً، مفهومه لحل القضية الفلسطينية، لأول مرة، منذ ما يقارب من العقدين، وطالب باقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة» (ص ٧١).

وعالج المؤلف، في الفصل السادس من الكتاب، مواقف الحزب من الهجرة اليهودية وتسويغه لها، واقامة المستوطنات اليهودية في الاراضي العربية «المتروكة»، وتوطين المهاجرين في المدن والقرى والمنازل «المهجورة»، واعتبار «ان هذا كله ليس صهيونياً» (ص ٧٧)، الامر الذي اعتبره المؤلف «منافياً للعقل والواقع».

امّا الفصل السابع، فقد تمّ تخصيصه لمواقف الحزب من النظرية الصهيونية، وفهمه لها، ذلك ان الحزب اعتبر نفسه، دائماً، معادياً للصهيونية؛ وعلى الرغم من ذلك، لم يطوّر موقفاً ايديولوجياً وسياسياً شاملاً من الصهيونية، الاّ في مؤتمره السادس عشر، الذي عقد سنة ١٩٦٩، حيث كان الحزب، سابقاً، يتبنّى نظرية «زوال الصهيونية». ورجّح الباحث ان تبنّي الحزب لهذه النظرية جاء من أجل تسويغ تحاشي الحزب المستمر للصهيونية. ورأى الباحث ان أخطر الاستنتاجات، بالنسبة الى حزب يعتبر نفسه مناهضاً للصهيونية، والتي يمكن التوصل اليها من مثل هذه النظرية، «انه نظراً الى حقيقة ان الصهيونية كانت في طور التلاشي، فانه لم يكن من الضروري تركيز النضال ضدها؛ اذ ان مثل هذا النضال، الذي يفتقر الى الشعبية، قد يجلب عداء كثيراً من الاسرائيليين، بل الأجدى تركيزه على قضايا أخرى» (ص ٩٢). كذلك تعرّض هذا الفصل الى المؤتمر العام السادس عشر للحزب، ومواقفه ازاء المسألة اليهودية، والايديولوجية الصهيونية، والقومية البرجوازية، والصهيونية، واللاسامية، ومواقف المؤتمر من جوهر الحركة الصهيونية، حيث توصّل المؤتمر الى «ان السيّاسة، والايديولوجية، الصهيونية أثبتتا ان الحركة الصهيونية، بما في ذلك جميع تنظيماتها، ليست حركة تحرر قومي، بل تياراً سياسياً رجعياً؛ حركة قومية متعصّبة، وأداة هامّة للبرجوازية اليهودية، يستغلها الاستعمار في صراعه ضد القوى الثورية» (ص ١٠٢).

الفصل الثامن تمّ تخصيصه لمواقف الحزب من منظمة التحرير الفلسطينية، بدءاً من موقف الحزب من تأسيس المنظمة وحتى العام ١٩٧٠، حيث فشل الحزب في ادراك ان قيام م.ت.ف. وتعاظم قوتها ونفوذها، من شأنهما ان يضيفا بعداً جديداً الى الصراع العربي ـ الاسرائيلي. بل ان الحزب «ندّد» بقيام م.ت.ف. زاعماً «انها ارهابية وخطرة» (ص ١١٨). مقابل هذا، تمسّك الحزب بنظريته القائلة «ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي نزاع بين دول» (ص ١١٩).

وبحلول خريف العام ١٩٧٠، بدأ الحزب يغيّر موقفه من م.ت.ف. ولكنه لم يكن تغيّراً عميقاً بما فيه الكفاية، بالاعتراف بـ م.ت.ف. كحركة تحرر وطني وممثّل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. وتجلّى تطوّر موقف